ولم يلتفت (العقلانيُّون) - على اختلاف عصورهم ومراتبهم - في مناهجهم المنحرفةِ إلى أيٍّ من هذا القواعدِ والطُّرقِ والضَّوابطِ، فكان موقفُهم من السُّنَّة النَّبويَّة (الصَّحيحة) موقفاً مُضِلاً !

(فهم يُشكِّكون في الأحاديثِ التي تَصطَدِمُ بمبادئهم ويُكذِّبونها، وإن عَلَتْ دَرَجتُها في الصحَّة، أو يؤوِّلونَها تأويلاً باطلاً، بل ويتجاوَزونَ هذا إلى تجريحِ راويها - لا أعني التَّابعيَّ أو تابعي التَّابعيِّ - بل الصَّحابيّ الذي رواه عن الرَّسولِ ﷺ ! يفعلون هذا إذا ما كان مُصادماً لمبدإٍ من مبادئهم، بينما يستشهدون بالأحاديث الضَّعيفة، بل الموضوعة، ويَعَضُّونَ عليها بالنَّواجذِ لنُصرَةِ مذهبِهم الاعتزاليِّ !

ولا أدري أينَ هذا العقلُ الذي اتَّخذوهُ قائداً - كما يقولون - ؟

ألا يستطيعون به أن يُدرِكوا ضعفَ هذا الحديثِ حينما يَجِدونَ فيه من ركاكةِ الأسلوب وضَعفِ المعنى ما يُبعدهُ عن البلاغةِ النبويَّة وأن يُدركوا به صحَّةَ هذا الحديث لِما يُوجَدُ به مِن قَبَسٍ مِن نورِ النبوَّةِ، وحِكَمٍ من ينابيع الوَحي، ممَّا يجعلُ القلبَ السَّليمَ يطمئنُّ إليه، **بَلْهَ الاستنادَ إلى أقوالِ أئمَّة المُحدّثين في سندِهِ ومَتنهِ تَصحيحاً وتَضعيفاً .**

بل إنَّ طريقتَهم هذه تَدُلُّ - وأكادُ أن أقولَ : يقيناً - على أنَّ مِقياسَ أَخْذِهم الحديثَ وَرَدِّهُ لم يكن سائراً على منهجهم - الذي يزعمونَ - بل كان منهجُهُ منهجَ الهَوى .

= نفسه (محمَّد أسَد) .

ولستُ أقولُ هذا اعتباطاً وعصبيَّةً ! وإنَّما أقوله استناداً إلى كثرةِ ما رأيتُه من رَدِّهم لأحاديثَ صحيحةٍ متَّفقٍ على صحَّتها، وتمسُّكهم بأحاديث لا أقولُ : ضعيفةٍ ! بل جزمَ أئمَّةُ الحديثِ بوضع كثيرِها !!

أفلم يكُن في منهجهم بصيصٌ من نورٍ يجلو لهم تلك الحقائقَ في الظُّلماتِ التي انقادُوا إليها ...

وحتى لا يُقال : تلك تُهمةٌ لم تَذكُر دليلَها أُشيرُ هنا إلى بعض الأحاديث الصحيحة التي أنكروها أو شكَّكوا في صحَّتها وأوَّلوها تأويلاً باطلاً !

فمن الأحاديثِ التي أنكروها أو تأوَّلوها : أحاديثُ رُؤيةِ اللَّه سبحانه للمؤمنين يومَ القيامة؛ لا لِضَعفٍ في سَنَدها، بل لمُخالَفتِها لمذهبهم في إنكارِ الرُّؤيةِ ! مع أنَّها متواترةٌ، ورواها أصحابُ « الصحاح » و « المسانيد » و « السُّنن »[1]، منها حديثُ جَريرِ بن عبداللَّه البَجَلي رضي اللَّه عنه قال : - « كنَّا جُلوساً مع النَّبيِّ ﷺ فنظرَ إلى القمرِ ليلةَ أربعَ عشرةَ، فقال : « إنَّكم سَتَرَونَ ربَّكم عَياناً، كما ترَونَ هذا، لا تَضَامُّون في رؤيَتِهِ »[2].

وقد روى أحاديثَ الرؤيةِ نحوُ ثلاثين صحابيّاً[3]، ومع هذا كُلِّه لم تَلْقَ

---

(١) انظر « شرح العقيدة الطحاوية » (ص:٢٠٩) .

(٢) متفق عليه .

بل لقد صنَّف الإمامُ الدَّارقطني كتاباً كبيراً اسمهُ « كتابُ الرؤية » جمع فيه المرويّات الواردة عن الصَّحابة في هذه المسألة العقائديَّة المهمَّة .

(٣) « شرح العقيدة الطحاوية » (ص:٢١٠) .

القَبولَ لدى المعتزلة، مع علمهم بها واطِّلاعهم عليها؛ فالقاضي عبدُالجبَّار المُعتَزلي يقول عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ للَّذينَ أحسَنُوا الحُسنى وزِيادةٌ ﴾: « أليسَ المرادُ بها الرؤيةَ على ما **رُويَ في الخبرِ** ؟ وجوابنا أنَّ المرادَ بالزِّيادةِ التَّفضيلُ في الثَّواب، فتكونُ الزيادةُ من جنسِ المَزيدِ عليه، وهذا مرويٌّ، وهو الظَّاهرُ، فلا معنى لِتَعَلُّقِهم بذلك ! وكيفَ يَصِحُّ ذلك لهم وعندهم أنَّ الرؤيةَ أعظمُ من كلِّ الثوابِ، فكيفَ تُجعَل زيادةً على الحُسنى ؟ »[1] !!!

ومنها حديثُ « ما من بَني آدمَ مولودٍ إلّا يَمَسُّه الشيطانُ حين يولَدُ فَيَستَهِلُّ صارخاً مِن مسِّ الشيطانِ غيرَ مريمَ وابنها »، وقد رواه البخاريُّ ومسلمٌ وأحمدُ رضي اللَّه عنهم[2]، ومع هذا يقولُ الزَّمخشريُّ[3] عنه : « وما يُروى من الحديثِ : « ما من مولودٍ يولدُ إلّا والشيطانُ يَمَسُّه حين يولَد فيستهلُّ صارخاً من مَسِّ الشيطان إيَّاه إلّا مريمَ وابنَها » **فاللَّهُ أعلمُ بصحَّته** ! فإنْ صحَّ فمعناه أنَّ كلَّ مولودٍ يطمعُ الشيطان في إغوائهِ إلّا مريمَ وابنَها، فإنَّهما كانا مَعصومَين، وكذلك مَن كان في صفتهما ... واستهلالهُ صارخاً من مَسِّه تخييلٌ وتصويرٌ لطَمَعهِ فيه ... وأمَّا حقيقةُ المسِّ والنَّخْسِ كما يتوَهَّم **أهلُ الحَشْوْ** فكلّا » !

فشكَّكَ في صحَّةِ الحديثِ أوّلاً، ثمَّ أوَّله تأويلاً باطلاً، وحَمَلهُ على أنَّهُ

---

(١) « تنزيه القرآن عن المطاعن » (ص:١٧٧) للقاضي عبدالجبَّار !! وهو كلامٌ ساقطٌ .

(٢) والحديث في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة، وفي آخره : قال أبو هريرة : اقرأُوا إنْ شئتُم : ﴿ وإنِّي أُعيذُها بكَ وذريَّتها مِن الشَّيطان الرَّجيم ﴾ [آل عمران:٣٦] .

(٣) في « تفسير الكشاف » (٤٢٦/١) .

تخييلٌ وتصويرٌ، وعمَّم الاستثناءَ على المعصومين، مع قَصْرِه في الحديثِ على مَريمَ وابنِها، عليهما السَّلام !! [ثمَّ طَعَن في المُسَلَّمين به !!] .

فانظر إلى تناقضهِ واضطرابه !

وتجاوَز المعتزلةُ (وأشياعهُم) هذا إلى تكذيبِ الصَّحابة وتَجريحِهم، بل تَجاوَزوهُ إلى سبِّهم - رضي اللَّه عنهم - إذا كان ما رَوَوْهُ يُخالفُ أصولَهم، فقال النَّظَّامُ المُعتزليُّ في حقِّ عبداللَّه ابن مسعودٍ رضي اللَّه عنه : « وَزَعمَ أنَّ القمرَ انشقَّ، وانَّهُ رآه، وهذا من **الكذبِ** الذي لا خفاءَ به[1] » !

وقال - أيضاً - في حقِّ سَمُرَة بن جُندُب رضي اللَّه عنه : « ما نَصنعُ بَسَمُرَةَ قبَّحَ اللَّهُ سَمُرَة »[2] !!!)[3].

فماذا نقولُ في هؤلاء النَّاسِ ؟! الذين جَمَعوا بين (الجهلِ) و (العقلِ) ؟! وقَرَنوُا بين زَعمِ (المنهجيَّة) و (الاضطراب) !!

وهم في ذلك كلِّه لا يُوقِّرونَ سنَّةً، ولا يُبجِّلونَ أثراً :

وعليه؛ فإنَّ « للعقلانيِّين مِن سُنَّة رسول اللَّه ﷺ موقِفاً رديئاً، قائماً على : الاجتراءِ والتَّطاوُلِ عليها، وعدمِ المبالاةِ بالقواعدِ التي قعّدها أهلُ

(١) « تأويل مختلف الحديث » (ص:٢١) لابن قُتيبة .

(٢) « تاريخ بغداد » (ص:١٢/١٧٦) للخطيب البغدادي .

وغزاليُّ العصر الحاضر سار على هذا المِنوال ذاته، فاجتراً على عددٍ من الصحابة، ولاكَهم بِفيه، وكواهم بِلَذْعَةِ لسانِه، من غير وازِعٍ ولا رادِعٍ؛ فانظر كتابه « **سُموم** داعية » (ص:١١٨)، وكتابه في نقد « السنَّة النَّبويَّة ... » (ص:٢٧) و (١٢٣) !!!

(٣) « منهج المدرسة العقلية » (٦٢-٦٤) بتصرّف .

الحديثِ، والتزمَ بها المُجتهدون من الأُمَّةِ ...

وهم يكادون يكونونَ قرآنيِّين[1] لشدَّةِ تجرُّئهم على السُّنَّة، وشدَّة تعويلهم على النَّصِّ القرآنيِّ وحدَه .

وتاريخُ الفرقِ الإسلاميَّةِ يَذكُرُ بوضوحٍ أنَّ المعتزلة هم أوَّلُ مَن فعلَ ذلك، وعلى وَجهِ التَّحديد كان إبراهيمُ بنُ سيَّار النَّظَّام بالذات هو الذي أرادَ ذلك .

فهُم - إذَن - يخترِقونَ الضوابطَ الحديثيَّة التي قامَ عليها الجهابذةُ، والتي استقرَّت منذُ بَدءِ الاهتمامِ بجمعِ السُّنَّة وتَدوينِها، بل هم كثيراً ما يردُّونَ الصحيحَ ويقبَلونَ الضَّعيف !!

بل لا تقومُ لهم قائمةٌ - أصلاً - إلّا بنقضِ القواعدِ، وهَدمِ الأُسُسِ .

واختَرعوا قاعدَتين جديدَتين لعلمِ المصطلح؛ أُولاهما (علَّة الشُّذوذ العقلي) !! لِرَدِّ الصَّحيح، وقاعدة (نور النبوَّة) ! لِقَبولِ الحديث الضَّعيف .

والشُّذوذُ العقليُّ عندهم هو ردُّ الحديثِ الصَّحيح الذي لا يُوافقُ العقلَ !! أمَّا قاعدةُ (نور النبوَّة) فأعني بها أن يكونَ الحديثُ (مَضروباً) قد تَرَكهُ العلماءُ المختصُّون ورَفَضُوه ! لكنَّ هؤلاء يقبَلونَه لأنَّ عليه (نورَ النبوَّة) !! »[2].

---

(١) انظر موقف المعتزلة من السُّنَّة، ومدى صلة ذلك بالقرآنيِّين، في كتاب : « القرآنيُّون وشبهاتهم حول السُّنَّة » (ص:٨٨-٩٨) تأليف : خادم حسين إلهي .

(٢) « العقلانيَّة : هداية أم غواية ؟ » (ص:١١٩) .

بل (اخترعَ) لهم حُسين أحمد أمين قاعدةً غارقةً في الضَّلال لردِّ السُّنَّة النبويَّة المشرَّفة، وهي (**ردُّ كلِّ ما يمجُّه التَّفكير السَّليمُ**)[1] !!!

وهي قاعدةٌ **ممجوجةٌ** يردُّها - ابتداءً - التفكيرُ المُستقيم .

وإنْ أطلَقَ هذه القاعدةَ عَلمانيٌّ مُتطاولٌ، لكنَّها مُستخدمةٌ ومقبولةٌ - من الناحية العمليَّة - عند كلِّ واحدٍ من مُنتَسبي هذه (المدرسة العقلانيَّة) حتى لو كان ممَّن يُوصف بأنَّهُ مِن : (الدُّعاة) أو (الرُّموز الإسلاميِّين) !!

وهذه القاعدةُ - في حقيقتها - **نَسْفٌ للدِّين** كلِّه؛ كتاباً وسُنَّةً، لأنَّها تعني إخضاعَ السُّنَّة للنظرةِ الماديَّة السَّطحيَّة، وبالتَّالي قَبولُ ما يُستساغُ عقلاً ! وَرَدّ ما (**يمجُّهُ التَّفكيرُ السَّليم**) ! على حدِّ زعمِهِ الفاسدِ !

وهذا - كما قلت - « هدمٌ للسُّنَّة، وتقويضٌ لمعالِمِها تحتَ مُسمَّى (العقلنةِ) وإعمال الدِّماغ في نُصوصِ الشَّرعِ الثَّوابتِ .

بل إنَّ التَّعامُلَ مع النُّصوص بهذه الطَّريقةِ يُؤدِّي في النِّهايةِ إلى إنكارِ القُرآن الكريمِ نفسِه، فقد تحدَّث القرآنُ عن كثيرٍ من الخوارقِ والمغيَّبات التي لو أخضَعناها لهذه **النَّظرةِ الغبيَّةِ** لَرَدَدنا القرآنَ الكريمَ نفسَه .

وهذا الخطأُ الجذريُّ المنهجيُّ الذي يتعصَّبُ - بجهلٍ بالغٍ - لمصدرٍ مُعيَّنٍ من مصادر المعرفةِ البشريَّةِ - العقل -، ويُحاولُ أن يُسلِّطهُ على المصادر الأُخرى، استجابةً للنَّزعةِ الحِسِّيَّة - أو (العقليَّة المجرَّدة) - هو الذي

(١) « دليل المسلم الحزين » (ص:٧٠)، و « مجلَّة الدوحة » القَطَرية عدد كانون ثاني سنة ١٩٨٣ .

انتهى بالكثيرين إلى نَبذِ السُّنَّة النبويَّة كلِّها، بل إلى الانتقالِ إلى القرآنِ الكريم نفسِه في مُحاولةِ تفسيرِهِ تفسيراً تعسُّفيّاً مُصطنعاً بُغيةَ إخضاعِهِ لمنطقِ العقلِ ونتائج التَّجاربِ (المَعْمَليَّةِ)، ولم يتيسَّر ذلك لأحدٍ إلّا بإنكارِ غيبيَّات الدِّين .

إنَّنا لا بدَّ لنا أن نُسلِّم - ابتداءً - أنَّ هناكَ حيِّزاً - ليس في العقائد وحدَها أو القرآن وحدَه، بل في السُّنَّة أيضاً - لا يَقتربُ منه العقلُ، وأنَّ هُناكَ آفاقاً يَعمَل فيها العَقلُ بِمقدارٍ، وآفاقاً أُخرى هي للعقلِ وحدَه دونَ مُنازعةٍ من نصٍّ شرعيٍّ، اللهمَّ إلّا بعضَ القواعدِ العامَّةِ التي تُحدِّد إطاراً كُلِّياً للصُّورةِ دونَ تَدخُّلٍ في أجزائها وتَفصيلاتها »[1].

بل إنَّنا نقول[2] مُلْزِمين لهؤلاءِ (العقلانيِّين) الجَهَلَةِ :

« لماذا لا نُخضعُ القرآنَ الكريمَ أيضاً لسُلطانِ العقلِ، وهو يشاركُ السُّنَّة في مخالفةِ العلمِ التَّجريبيِّ - **كما يدَّعي العقلانيُّون وأشياعُهم** - في عَددٍ من الآيات - وقد طالَبَ بعضُ أساتذةِ الفلسفةِ مؤخَّراً بشيءٍ من هذا القَبيل - ؟! وإذا لم نُخضع القرآن الكريم لمَنطقِ العقلِ - مثل السُّنَّة - فكيف نُحافظُ على ثقة[3] (النَّاشئة) فيه ؟

---

(١) « العقلانيَّة » (ص:٥٠) - بتصرّف يسير .

(٢) « أساطير المعاصرين » (ص:١٣٣) للدكتور أحمد عبدالرَّحمن - بتصرّف يسير .

(٣) إذ هذه - نفسُها - هي علَّةُ (العقلانيِّين) في كلامهم على السُّنَّة، وتشكيكهم بنصوصها، و (ردودهم) عليها !؟
وهي حجَّةٌ داحضةٌ، فعلماؤنا لم يتركوا منفذاً من ذلك إلّا وأغلقوه بقواعد العلم وأصوله .

إنَّ للتعامل مع النُّصوص - والنُّصوصُ الحديثيَّةُ خاصَّة لأنَّها خاضعةٌ **في طُرق تلقِّيها** لبعضِ المعاييرِ الاجتهاديَّة - أدباً ينبغي أن يتحلَّى به صغارُنا وكبارُنا :

فقبلَ أن أُعالجَ أيَّ حديثٍ ينبغي أن أستَوثقَ أوَّلاً من ثبوته وصحَّة إسناده، من خلال آراءِ « المُختصِّين » من أهل الذِّكر الذين قَبِلَتهُم الأُمَّةُ كلُّها، واتَّفَقَت على تَعديلهم وتَوثيقِ أحكامهم، ومن خلالِ القواعدِ المتَّفقِ عليها - أصولاً - منذ دُوِّنَت علومُ الحديث .

وليسَ مَعنى ذلك أنَّنا نجعلُ أحكامَهم مُقدَّسةً - كما زَعمَ ذلك غيرُ واحدٍ من العقلانيِّين - بل إنَّ قيمتَها الفعليَّةَ أتَت مِن تقبُّل الأُمَّة لهذه الأحكامِ والأُصولِ التي بُنيَت عليها على مَدارِ هذه الحِقبةِ الزّمانيَّة المتطاولةِ، ومِن تقبُّل واستفادةِ أعلامِ الأُمَّة وكبارِ الأئمَّة لها - وهُم مَن هُم عقلاً وعلماً ووَرعاً وقَبولاً - كالأئمَّة الأربعةِ، وكبار رجالاتِ الحديث كالبخاريِّ، ومسلم، وابن حجرٍ، والقَسطلانيِّ، والبَغَويِّ، والذَّهبيِّ، وابن كَثيرٍ، وابن تيميّة، وابنِ القيِّم، رضيَ اللَّهُ عنهم جميعاً .

وَعلينا - كذلك - أن ننظُرَ في المتنِ وفحواهُ وصحّته - بعد ثبوت السَّند - **وَفقاً للمقاييسِ العلميَّة الصّحيحة المقرَّرةِ** - أيضاً - عند علماءِ الأُمَّة رحمهم اللَّه .

« ونشيرُ هنا إلى أنَّ بعضَ المعاصرين - من (العقلانيِّين) وأذنابهم - فَجَّرُوا - جَرياً على أكاذيب المناهج الاستشراقيّة - أكذوبةً باردةً، وصدَّقوها

- مثلَ وليمةِ جُحا - وصدَّقها مَعهم صِغارُ العقولِ سُفهاءُ الأحلام !

وفحوى هذه الأُكذوبة، أنَّ أهلَ الحديثِ رَكَّزوا على القالبِ أو الوعاء - أي : الإسناد - وأهملوا المَضمونَ ... أي : المتنَ !!

وعندي أنَّ هذا لا يقولهُ إلّا غافلٌ، أو مُستغفلٌ للنَّاس، أو **جاهلٌ**[1] :

فالاهتمامُ بالمتنِ لم يكُن - بأيّ حالٍ - دونَ الاهتمامِ بالسَّندِ عندَ السَّلفِ والخَلَفِ من العارفين بعلوم الحديث، المختصِّين بها :

وإلّا فلماذا كَتبُوا عن الحديثِ الشَّاذِّ ؟

ولماذا كَتبُوا الكُتبَ عن العِلَلِ[2] ؟

ولماذا أَلَّفوا في النَّاسخِ والمنسوخِ ؟

ولماذا كَتبُوا في مُختلفِ الحديثِ ومُشكِل الآثارِ ؟!

ولماذا كَتبُوا في الغريبِ ؟!

أليسَ هذا كُلُّه اهتماماً بالمَضمونِ، أي : المَتن ! »[3].

ولقد قام عَددٌ مِن الدارسين المعاصرين من طلّاب العلمِ بتفنيدِ هذه الشبهةِ المتهاوية، وألَّفوا في ذلك تصانيفَ مستقلَّةً، من ذلك كتابُ « اهتمام **المحدِّثين** بنقدِ الحديثِ سنداً ومتناً، ودَحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم »

(١) **وهذه هي حقيقةُ (عقول) هؤلاء !! أنَّهم جَهَلةٌ، غارقون في جهلهم !!**

(٢) وقد قسَّموا الكلامَ على هذا - وما قبلَه - إلى نوعين : سنداً، ومتناً .

(٣) « العقلانيَّة » (ص:٥٢-٥٣) .

للدكتور محمد لقمان السَّلفيّ، ويقعُ الكتابُ في نحو سِتّ مئة صفحة، وكتابُ « مقاييس نقد مُتون السُّنَّة » للدكتور مُسفِر غَرم اللَّه الدُّمَيني، وحجمُه كمثلِ سابقِهِ .

وهناك كتاباتٌ أُخرى في البابِ نفسِه، للدكتور محمود الطحَّان، والدكتور نجم خلف، وغيرهم كثير .

فهل يقول بعد ذلك كلُّه مُستشرقٌ أو (**مُتَمَغْقِلٌ**) : إنَّ الأُمَّة - متمثِّلةً بمُحدِّثيها - قد أهملت دراسةَ متون المرويَّات !!

... حتى جاءَ هؤلاء النَّفر (يَركبون) عقولَهم ! ليَسُدُّوا (النَّقصَ) الذي أهمَلتهُ الأُمَّةُ حيناً من الدَّهر ؟!

سبحانَك ربِّي هذا بُهتانٌ عظيمٌ !

ثمَّ بعد هذه الجولة الشَّاملة التي بيَّنَت حقيقةَ موقفِ (هؤلاءِ) من السُّنَّة، انظر - بالتالي - إلى هذا الهجومِ الغاضبِ، الشَّديدِ العاصفِ، من (الأزهريِّ) محمَّد الغزالي على دُعاةِ السُّنَّةِ وأهلِ الحديث، الذين أرَّقُوا - بفضلٍ من اللَّهِ ومنَّةٍ - مضاجعَ أهلِ الأهواء والبدعِ، وأصحابِ الرَّأي والجَهلِ؛ - من العقلانيِّين ومَن شايعهم - بردُودهم عليهم، وتحذيراتهم منهم؛ فيقولُ - عفا اللَّه عنه - بهَيَجانٍ ظاهر وكلامٍ ثائر في كتابهِ « دُستور الوحدة الثَّقافيَّة ... » (ص:١٩٦) مُخاطباً أولئك خصوصاً :

« إنَّكم تنطَلقونَ كالزَّنابير الهائجةِ تلسَعونَ هذا وذاك **بِاسْمِ الحديثِ**